إجراء التمثل والمحاكاة

تعتمد الكتابة على إجراءات عديدة، أهمّها: التمثّل والمحاكاة، وهما من مرتكزات العملية الإبداعية.

لغة :

«حكوت الحديث أحكيه، وحكيت فلانا وحاكيته : شابهته وفعلت فعله أو قوله سواءً»
فكلمة المحاكاة تدل في معناها اللغوي على المماثلة و المشابهة في الفعل و القول

اصطلاحا:

1- تقليد نمط سابق في الزمن / الطبيعة
2- تقوم نظرية المحاكاة على مبدأ محاكاة الطبيعة لا بوصفها كلا بل لما فيها من مظاهر عامة ودائمة صالحة لكل فضاء و زمان.

تاريخيا : ظهر هذا المفهوم في الفلسفة اليونانية، فهو واحد من المفاهيم الأساسية التي قدمها الفلاسفة لتفسير الأعمال الفنية وطريقة خلقها، وضع مبادئها أرسطو في كتابه «فن الشعر», ولقد رأى أرسطو أن المحاكاة فعل فطري عند الإنسان.

3-المحاكاة عند أرسطو

اعتبر أرسطو الفن محاكاة لما في الطبيعة، لكن هذه المحاكاة ليست نقلا حرفيا أو فعلا آليا ، لأن الفن ليس مرآة ، بل هي إلهام خلاق، بواسطتها يمكن للشاعر أن ينتج شيئا جديدا مستخدما في ذلك ظواهر الحياة و أعمال البشر المتسمة بالجدية و الكمال في إطار لغوي منمق، و هكذا يصنع الفنان وهو يحاكي الطبيعة ما هو أجمل منها .

ولعل أهم عمل استنبط منه أرسطو نظريته في المحاكاة هو المأساة اليونانية (التراجيديا وهي شعر درامي) من حيث هي « محاكاة فعل نبيل تام ،لها طول معلوم، بلغة مزودة بألوان من التزيين تختلف وفقا لاختلاف الأجزاء وهذه المحاكاة تتم بواسطة أشخاص يفعلون لا بواسطة الحكاية تثير الرحمة و الخوف فتؤدي إلى التطهير من هذه الانفعالات».
فجوهر الأعمال الفنية هو المحاكاة ووظيفتها هي التطهير katharsis عند المشاهد عن طريق إثارة انفعال الخوف من تورطه في حدث مماثل، وانفعال الشفقة على الذات من التعرض لمثل مصير البطل المأساوي الذي عانى وسقط.

4-المحاكاة والقواعد النّاظمة لإنتاج عمل فني ما:

- إن الحدث المحاكى فنياً بحسب أرسطو هو الحبكة التي صنعها المؤلف لربط المعطيات في نسيج متماسك، تمنحه الشخصيات بأفعالها حقيقة فنية أمام المشاهد.
- إنّ الأديب حين يحاكي فهو لا ينقل ولا ينسخ وقائع تاريخية، فهو لا يحاكي ما هو كائن بل يحاكي ما يمكن أن يكون وما يجب أن يكون,؛ فالتراجيديا مثلًا لا تكتفي بأن تكشف لنا عما يحدث لأوديب، ذلك الإنسان الجزئي أو الخاص، وإنما تبيَّن ما يُمكن أن يحدث لأي فرد له نفس الشخصية ويوجد في نفس الظروف أيًّا ما كان زمانه ومكانه

- الحكاية قد تكون بسيطة إذا تم الانتقال في حوادثها من السعادة إلى الشقاء أو العكس دون مفاجأة ودون تعرف، وإما أن تكون معقدة، وذلك إذا كان الانتقال في حوادثها عن طريق المفاجأة أو التعرف أو عن طريق الإثنين معا
- أكد أرسطو على أن اللغة يجب أن تكون راقية تناسب الموضوع الجدّي
- الأحداث تكون مترابطة كل حدث يفضي إلى الآخر إلى أن تؤدي الى الكارثة المأساوية (الانتقال من السعادة الى الشقاء) كما حدث مع أوديب
- اختيار جانب من حياة البطل لا أن تروي كل تفاصيل حياته، وهذا ما نجده في مأساة «أوديب ملكا» حيت أن صاحبها تناول فيها فترة من حياة أوديب، وهي المرحلة التي تولى فيها ملك طيبة وتزوج من (جوكاستا)، واكتشف أنه ابن الملك السابق (لايوس) و قاتله، وأن جوكاستا والدته مما دفعه إلى أن يفقأ عينه، ودفعها هي إلى الانتحار، فالمحاكاة انتقائية وخلاقة.
- الشخصية التراجيدية هي إنسان لا ترجع تعاسته إلى رذيلة أو وضاعة بل ترجع إلى نوع من الخطأ أو الضعف أي الهفوة التراجيدية، فالبطل لا يكون فاضلا كل الفضل ولا شريرا كل الشر حتى لا يكون مصيره المأساوي ناتجا عن شروره وإنما نتيجة خطا وقع فيه .

5. المحاكاة عند العرب

- انتقل هذا المفهوم للثقافة العربية مع تلخيص وشرح كتاب أرسطو «فن الشعر»
- أكد شراح كتاب أرسطو والمهتمين به، أن المحاكاة لا تعني أبدا نقل ما في الواقع أو استنساخ معطياته، فما تعكسه المحاكاة إنما يقف عند حد المشابـهة والمماثلة.
- إن تحديد الفلاسفة المسلمين لمفهوم المحاكاة متعلق بعملية التخييل (وهذا راجع لطبيعة الشعر العربي)، فقد استوحى العرب نظرية المحاكاة لكن تجاوزوها وابتدعوا نظرية التخييل، أي القدرة على تشكيل شيء ما، أو واقع ما، تشكيلا فنيا، ولا شأن لها بالنقل الحرفي لمعطيات الواقع أو تقليد موضوع من موضوعات العالمين الطبيعي والإنسان.(محاكاة قولية)
- **العنصر الأساسي في التخييل** : هو الإيهام بالرؤية البصرية للمسموعات باستخدام المحسوسات5].

- نموذج التخييل في الأدب العربي

قال طرفة بن العبد في معلقته:

لِخَولةَ أطْلالٌ بِبُرقَةِ ثَهمَدِ، * تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليدِ**

وُقوفاً بِها صَحبي عَلَيَّ مَطيَّهُم * يـــــقولونَ لا تَهلِك أَسىً وَتَجَلَّدِ**

فعناصر المنظر المسرحي مجتمعة فيما ترسم من دلالات الكلمات حيث يرسم البيت الأول الخلفية المادية من هذه الأطلال في هذا المكان المعين والتي لم يبق منها إلا كما يبقى من الوشم في ظاهر اليد وعلى هذه الخلفية يبرز الشاعر و أصحابه بهذه الهيئة التي وصفها الشاعر والتي تتضمن مطيهم وقد بدا عليه من الأسى ماجعلهم يواسونه خشية أن يقضي الحزن عليه.

وعليه رسمت الكلمات الصورة في ذهن المتلقي , عن طريق التركيز على المحسوسات

6. المحاكاة بوصفها اتباعا:

في عصر النهضة أصبح للمحاكاة مدلول جديد وهو **تقليد الأدب القديم اليوناني والروماني** (نصوصها الجيدة) ، وتتبع وتمثّل للنماذج والقواعد المستمدة منها بشرط أن لا تمحو أصالة الشاعر, فلابد من مجاوزة النموذج المحاكى.

وقد سبق للرومان أن قاموا بمحاكاة الأدب اليوناني ونموذج هذه المحاكاة «الإنياذة» لفرجيل الذي حاكى ملاحم هوميروس اليوناني (الأوديسا والإلياذة) , و الملحمة هي: قصة بطولة قومية تحكى شعرا تحتوي على أفعال عجيبة وحوادث خارقة حيث يمتزج فيها الخيال بالواقع)

حاكت الإنياذة ملاحم هوميروس بخصائصها وطابعها (البطولة ، الأساطير والعجائب) فهي ملحمة وطنية تشيد بأصل الإمبراطورية الرومانية ، موضوعها هو وصول البطل الناجي من طروادة إلى إيطاليا لتأسيس إمبراطورية روما وتنقسم إلى قسمين : قسم يحكي أسفار البطل «إينياس» حتى وصوله لإيطاليا وهي محاكاة فنية دقيقة لأوديسا هوميروس، و القسم الثاني يحكي حروب «إينياس» وتغلّبه على معارضيه وتأسيسه لإمبراطورية الرومان وهي محاكاة للإلياذة .

- أسس هذه المحاكاة :

- إن المحاكاة للكتاب والشعراء مبدأ من مبادئ الفن لا غنى عنه.
- هذه المحاكاة ليست سهله بل تتطلب مواهب خاصة في الكاتب الذي يحاكي ،شأنها في ذلك شأن محاكاة الطبيعة .
- المحاكاة لا تكون للكلمات والعبارات بقدر ما هي لجوهر الأدب.
- اختيار النماذج الجيّدة ، فيما يتلاءم مع طاقته وقدراته التعبيرية.
- حفاظ الشاعر على أصالته.

ملاحظة : في الأدب العربي الحديث نجد مثالا لهذه المحاكاة؛ حيث حاكى الشعراء النماذج و الصور والأخيلة ونهج القصيدة العمودية القديمة، وهو ما يعرف بشعر الإحيائيين العرب، مثل شعر سامي البارودي.

المحاكاة في التعبير الكتابي:

أ_تعريفها:

هي مهارة تمكّن المتعلّم من عملية تقليد نشاط أدبي أو فني من الأنشطة القابلة للمحاكاة والنسج على منوالها ، وهي القدرة على إنتاج نص آخر في موضوع مغاير للنص الأصلي وإعادة كتابته بما يشبهه أو ما يماثله وذلك باعتماد تقنيات المحاكاة.

ب_ تقنياتها:

تعتمد المحاكاة جملة من التقنيات ، نذكرها على النحو الآتي:

- تقليد الجمل والعبارات والتراكيب.
- مراعاة خصائص الأسلوب الأصلي ومميزاته.
- الاحتفاظ ببعض الجمل التي تتكرّر في النص الأصلي.
- اعتماد الترادف وتوظيف معجم مناسب للموضوع المعالج.

ج_ أهميتها في التعليم:

- **في مجال التعليم:** تسهّل المحاكاة التعليم والتدريب ، وتقدّم إمكانات كبيرة للتعلم الفردي والجماعي حيث تستجيب استجابة كاملة لجعل التعليم وفقا لقدرات المتعلمين واحتياجاتهم ، كما أنّا من خلال ما توفّره من إمكانيات تدريبية متنوعة تتيح فرصا أكبر لتنويع طرائق التدريس .
- **في مجال الكتابة:** تعدّ المحاكاة من أهم التقنيات التي تتيح للمتعلم التعلّم بيسر وتسمح له بالتدريب وتساعده على تنمية قدراته اللغوية والفكرية والإبداعية ، وذلك من خلال تعويده على قراءة نماذج مختلفة من النصوص ، وهذا ما يساهم في إثراء رصيده اللغوي ويمكّنه من اختيار الألفاظ والعبارات المناسبة وترتيب الأفكار.

ويرى الدكتور خالد أبو عمشة ، أنّ محاكاة كبار الكتّاب من أهم استراتيجيات تطوير مهارة الكتابة وإتقانها لدى المتعلّم ، لكن ذلك لا يعني أن تذوب شخصيته في شخوصهم ، بل يجب أن يكتفي بأخذ الإطار العام للنص وهيكله ويكون هو نفسه في كتابته ، آخذا بشعار : كن نفسك في كتابتك.

أمثلة توضيحية عن المحاكاة:

1_ في مجال الأدب: (الشعر أنموذجا/ قصيدة رسم عبد الحميد بن باديس)

نستعين بهذا المثال لتوضيح مفهوم المحاكاة للطلبة نقلا عن: رسالة ماجستير بعنوان نظرية المحاكاة بين الفلسفة والشعر ، إعداد مديونة صليحة.

أ_ الأصل المحاكَى: لوحة الإمام عبد الحميد بن باديس

ب_ النص المحاكِي: أبيات شعرية للشاعر محمد العيد آل خليفة:

هذا ابن باديس في القرآن مفتكر يجلو معانيه كالدرّ والمـــاس

أحيا الجزائر بالعرفان فانتعشت وذادَ عن حقها بالعزم والباس

ووَدَّ من شعبه أن يستجيب له ويستنير من الذكرى بمقباس

فكن له سامعا إن رمت منزلـــة رفيعة القدر عند الله والنّـــاس

نظر الشاعر محمد العيد آل خليفة متأملا صورة العلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس و هو ينظر إلى المصحف الشريف في حالة تدبر و اتعاظ فجادت قريحته بهذه الأبيات الشعرية ، فشاعرنا نظم قصيدته بالاعتماد على لوحة زيتية جسدت صورة الشيخ ابن باديس ، حيث أن من رسمها حاكى فعلا إنسانيا: فكانت وسيلته (أداته) الأصباغ و الخطوط و الألوان ، و كان موضوع محاكاته رسم صورة الشيخ ابن باديس و هو ينظر إلى المصحف الشريف ، أما الطريقة التي اعتمدهافهي طريقة الرسم (اللوحة الزيتية).

ثم جاء شاعرنا **محمد العيد آل خليفة** و حاكى الصورة المرسومة (محاكاة المحاكاة) فاتخذ **اللغة** وسيلة محاكاته ، و هي **لغة وصف لشخصية ابن باديس الفذة** ، أما الموضوع فهو **تجسيد لشخصية الشيخ المتميزة** ، لكن ما يلاحظ أن الشاعر محمد العيد استوحى من الصورة معان شتى وأسعفه في ذلك معرفته به ، فتعرض **للجانب الديني** في شخصية ابن باديس فذكر **علمه و تفسيره للقرآن الكريم.**

كما تعرض **لمواقفه الوطنية** التي سجلها له التاريخ ، فقد دافع عن الجزائر بكل ما أوتي من قوة و دافع عن هوية الشعب الجزائري متخذا من العلم و الدين سلاحا يواجه به الأعداء ، و في آخر القصيدة ود الشاعر لو أن كل إنسان مسلم يسير على نهج ابن باديس ، ففي تتبع خطاه المنزلة الرفيعة و القدر العالي ، أما الطريقة التي اعتمدها في **محاكاته فهي القصيدة الشعرية**.

و بناء على ما ذكر ، يمكن استنتاج أن كلا من **الرسام و الشاعر** اتخذ **من عبد الحميد ابن باديس** و شخصيته موضوعا لمحاكاته ، غير أن الاختلاف يكمن في الأدوات و الطريقة المتبعة ، حيث أن **الرسام** اتخذ **من الألوان و الأصباغ و الخطوط أداة لمحاكاته متبعا طريقة الرسم** ، أما الشاعر فقد اتخذ من **الكلمات (اللغة) وسيلة لمحاكاته متبعا طريقة القصيدة الشعرية.**

2__ في مجال التعليم: (التعليم الإعدادي أنموذجا/ درس المحاكاة)

نستعين بهذا المثال المأخوذ من مستوى السنة الثانية إعدادي/ مادة اللغة العربية/ مكون التعبير والإنشاء/ درس مهارة المحاكاة/ أنشطة التطبيق، تيسيرا للطلبة فهم تقنية المحاكاة في مجال التعبير الكتابي.

أ__ النص الأصلي:

" كان وما يزال ولع الناس في المغرب **بالموسيقى** كبيرا جدا، فهي سلوة الأنفاس، وقوت الأرواح وبهجة المجالس والأفراح، يقبل القوم عليها، ويتهافتون على سماعها بشغف، ويتلذذون بأنغامها ويتناشدون أدوارها وموازينها وصنائعها، بما فيها من موشّحات وأزجال وتوشيحات وأقفال. فيسبحون في سماء فنّها الساحر، ويرافقون ألحانها بحركات موقعة، وبنقرات خفيفة، وأصوات منخفضة شجية، تجعل منهم رفقاء المغنيين والموقعين دون أن يشعرو أحيانا، وينظمون على منوالها في بعض الظروف بكلام يوافق المقام. "

ب__ النص المحاكِي:

" كان وما يزال شغف النّاس في المغرب **بالتمثيل** عظيما جدا، فهو ترويج عن النفس، وزاد المهج وباعث على الغبطة في المناسبات السعيدة، يتعلّق به النّاس، ويسارعون إلى مشاهدته باهتمام ويستمتعون بفصوله وبما فيه من من مواضيع وقضايا ومواقف طريفة ومؤثرات وديكور، فيسبحون في فضاء هذا الفن الجميل، ويندمجون مع أدواره التي تحوّلهم إلى مصاحبين ومشاركين للمثلين البارعين دون أن يحسّوا بذلك، ومنهم من يتأثر بذلك، فيقلّد بعض الممثلين بحركات تناسب المقام. "

تأسيسا على ما سبق ذكره ، **حاكى المتعلم النص الأصلي (الموسيقى في المغرب)** من خلال إنتاج نص آخر ، من **خلال تغيير موضوعه (التمثيل في المغرب)** ، وذلك باعتماد **الترادف وتوظيف معجم يناسب الموضوع، مع تقليد الجمل وتكرار بعضها.**

ثانيا- التمثّل :

1- لغة:

تَمَثَّلَ بالشيءِ: ضَرَبَهُ مَثَلاً

- مَثَّلَهُ لهُ تَمْثيلاً: صَوَّرَهُ له حتى كأنه يَنْظُرُ إليه.

- امْتَثَلَهُ هو: تَصَوَّرَهُ.

- امْتَثَلَ طَريقَتَه: تَبِعَها فلم يَعْدُها.

2. اصطلاحا:

التمثّل (التصوّر)» La représentation : يقصد بالتمثل أو التصور مختلف الطرق التي بها تصبح الموضوعات الفكرية ماثلة من جديد أمام الفكر، ويقصد به أيضا الطرق التي يستحضر بها الفكر الموضوعات الخارجية حتى في حالة غيابها وعدم وجودها".

3- التمثّل في علم النفس:

في علم النفس المعرفي نجد التعريف التالي:

«**التمثل** نشاط ذهني يتطور بناء على تفاعل و استدخال الطفل للمحيط الخارجي عبر محاكاة مجموعة من النماذج الخارجية الحركية و اللغوية».

فالتمثل نشاط لاحق لمحاكاة أفعال و أقوال الناس، بل يتطور بناء على المحاكاة ، فينتقل الفرد إلى بناء،أو انتاج معادل لها أي نسخة منها، ولهذا فالتمثلات تنحدر من التجربة الإدراكية وتتطور عبر تحريك نشاط المحاكاة.

وينقسم **التّمثل** إلى قسمين :

الأول: يحيل على المعارف المثبتة في الذاكرة البعيدة المدى ويعكس تصورات الفرد حول مجموعة من المواضيع غير الآنية، **والثاني:** تمثلات ظرفية داخل سياق خاص .

4. نموذج :

لنأخذ مثالا الرواية النسوية كيف تبني تمثلّاتها للذات والآخر، تمثّل المرأة لجسدها كيف تبني صورا مغايرة لتعرية النظام الأبوي و الكشف عن ممارساته التسلطية فالمجتمع يسم الفرد جنسيا، فهذا ذكر وهذه أنثى ويقيم على أساسها تراتبية وهيمنة وأفضلية طرف على طرف، بل المجتمع يعمل على ترسيخ هذه التمثلات حول دونية المرأة وتبعيّتها، حتى أن المرأة ذاتها تعيد إنتاج الخطاب الأبوي، فتكون «المرأة عدو المرأة» كما نجد في رواية دنيا لعلوية صبح القول التالي:

«أمي، حين أخبرتها عن بشاعاته، وعنف معاملته لي، قالت «إن الزوج هو الرب الصغير على الأرض» وعلى الزوجة استرضاؤه بأي ثمن، وعلي ألّا أكفر بالنعمة، فالله لا يحب الكفار. حدثها الشيخ عن العذاب الذي يلاقيه الكفار في الآخرة، والنار التي تكويهم وتحرق جلودهم»